

تمهيد:

سنركز في هذه الورقة على مقاربة رشيد بن مالك لقصة عائشة التي كتبها رضا حوجو مختارا السيميائية السردية كآلية لمقاربة تلك القصة. فأعرب عن نيته في المقاربة وهي تتطلق من محاولة استجلاء عناصر البرنامج السردى حسب ظهورها في النص وتحديد الحالات والتحويلات التي تحكم بنية هذا الخطاب السردى أي قصة عائشة، وهذه الحالات والإحالات تقوم على أساس العلاقة بين الفاعل والموضوع وتحويل هذه العلاقة. ولتحقيق هذا المبتغى بدأ رشيد بن مالك بأول الآليات وهي:

1- تقطيع القصة/ النص:

قسم رشيد بن مالك قصة عائشة إلى مقطعين، حدد للأول منهما بدايته ونهايته في المقطع السردى من الصفحة 195 إلى 196 " عائشة امرأة ككل النساء الجزائريات " إلى غاية المقطع " يعرفن حياة يومية متشابهة لا يختلف فيها يوم عن يوم"، يحدد رشيد بن مالك أهم ما يلاحظه على المقطع، بحيث بأن الكاتب راو يعرض على القارئ علاقة تتسم بطابع جدالي ألا وهي المرأة / المجتمع تتضوي في خطاب يمارس من خلاله فعل الإقناع على القارئ لحمله على الاعتقاد بحقيقة المكانة التي تحتلها المرأة في المجتمع. سيفضي هذا الخطاب الموضوعي بالقارئ إلى مستوى ثان عبر عملية سرد الأحداث وقعت في الماضي يلمس من خلالها هذه الحقيقة، وعلى هذا الأساس يشتغل الخطاب الموضوعي والخطاب السردى على ثنائية الحاضر / الماضي، ثم ينتقل إلى :

2- تحليل المقطوعة الأولى:

أ- الخطاب الموضوعي:

ينطلق من فكرة وضع المرأة في المجتمع الجزائري الذي يقدمه على أنه مظلم، وبعدها يحدد الفاعل الجماعي القائم على المجتمع ليمثله الأب أولاً ثم الجار ثانياً، فالكل يعمل على تشيئ المرأة وإذلالها وإهانته...، وبهذا تتحدد صورة مكانة المرأة عند الآخر وهي ثابتة عند كل الأطراف الفاعلة فيه ولا تتغير، فمحاور المجتمع ظالم والذي تمثله (هم ضمير الغيبة)

والممثلة للفاعل الجماعي الذي لا يريد لها متعلمة، يتحكم فيها...، مهما اختلفت صورة الآخر التي يتقوّل فيها، وعليه، وبناء على هذه المعطيات وانطلاقاً من المقابلة الأساسية: الثابت / المتحول، التي سخرها الراوي لتحديد مكانة المرأة في المجتمع يمكن أن نمثّل مختلف القيم الدلالية المقيدة في أثناء التحليل في المربع السيميائي الآتي :

الثابت _____ المتحول

ا
ا

اللامتحول _____ اللاتباث

المجتمع بوصفه فاعلاً جماعياً يتبنى برنامجاً ينفي من خلاله / المتحول / بإقصائه لنشاط المرأة، فهو يملك على صعيد الجهات / معرفة فعل / ثابتة متمثلة في هذه القدرة على إعادة إنتاج الأشكال الثقافية القارة، وعليه، فإن جميع العناصر التي تدخل في تشكيل كفاءته معبأة لتكريس الثوابت المتجذرة في نظام القيم الموروث، ولئن كان الفاعل الجماعي يرفض المتحول عبر عملية النفي، فإنه لا يعرف نفسه في التغيير الذي يحمل الجديد وبالتالي تتجانس معرفته الثابتة وتتماهى مع القديم المفرز للقيود المضروبة على عائشة في القرية. ومن هنا فإن الثابت يولد مجموعة من الممنوعات تظهر تجلياتها في المكانة الخاصة التي تحتلها المرأة في المجتمع، يمكن أن نمثّل مسار الفاعل الجماعي على النحو الآتي:

الثابت 3 _____ المتحول 1

[معرفة ثابتة] ا

ا

ا

اللامتحول 2

وإذا كان الراوي الملاحظ يستنتج أن البيئة الجزائرية لا تعرف التطور ولا التغيير، فإنه في اعترافه بوجود الظلم يطمح إلى ترقية المرأة وتحريرها والاعتراف بإنسانيتها وحققها في التفكير والقول وإرساء قواعد معرفة متحولة .

الثابت 3 _____ المتحول 1

[معرفة متحولة] ا

3- تحليل المقطوعة الثانية:

في المقطع الثاني من القصة يسعى رشيد بن مالك من خلال مقارنته إلى الكشف عن الآلية التي تحكم البنية السردية لقصة عائشة، ولن يتحقق له ذلك إلا بالفحص عن ملفوظ الحالة في الوضع الأولي بتحديد العلاقة الموجودة بين فاعل الحالة وموضوع القيمة. فعائشة محكومة بمجموعة من القيود / الثابت التي أدركت خطورتها مما جعلها تقرر الخروج عن المألوف وتسعى إلى تعويض افتقارها برغبتها في الدخول في وصلة بقيم العالم الآخر المتنافرة مع القيم التي يحملها النظام التقليدي المتجذر في القرية من هنا يأتي إعجابها بالشاب القادم من أوربا كمعطى ثابت في هذه المقطوعة، نحدد الإعجاب في هذا المساق بوصفه تأويلاً إيجابياً لظاهر الشاب الذي يشتغل على المستوى التداولي كفعل إقناعي، بناء على الممارسات الاجتماعية المألوفة، وتظهر تجليات الفعل الإغوائي في مجموعة من الصور تتعالق مضمونياً لتتصهر في مسارين صوريين ندرکہما على الصعيد اللساني وغير اللساني :

تشكل خطابي [الإثارة]

محدد ب الفعل الإغوائي المتمظهر على

الصعيد غير اللساني

الصعيد اللساني

المسار ب

المسار أ

حلة إفرنجية أنيقة

غرائب الأحاديث

شعر مصفف

الحديث العذب

حذاء أسود لامع

حادثة غريبة

يبين رشيد بن مالك أن الفعل الإغوائي الذي يمارسه الشاب القادم من أوربا أحدث تغييراً جذرياً في الوضعية الاستراتيجية للفاعل الجماعي [الرجال - الفتيات - النسوة] الذي أضحت تملكه الرغبة في معرفة العالم الآخر / الغرب، يمكن أن نفهم هذه الرغبة بالارتكاز على المقطوعة الأولى التي اتضح فيها أن الفاعل الاجتماعي [المجتمع: فئة الرجال]

رافض لكل تطور ولا يعرف نفسه في التغيير الذي يحمل الجديد [لايعرف التطور ولا التغيير]، تعبر عن هذا الرفض الوضعية السردية الآتية:

ف1 U م [الفاعل في فصله عن المتحول " المعرفة الجديدة "]

تعد وصلته بالشباب القادم من أوروبا عاملا حاسما أفرز وضعية سردية جديدة دخل فيها الفاعل الاجتماعي في وصله بالمعرفة الجديدة :

ف1 n م يمكن أن نصوغ التحويل الوصلي على الشكل الآتي :

ف (ف2) — [ف1 U م] — [ف1 n م]

الملاحظ أن هذه الوضعية تشكل حالة خاصة في مبدأ التبادل principe de l'échange، ذلك أن المعرفة المبلغة لا يفقدها أي طرف، على هذا الأساس نصوغ هذه الوضعية على الشكل الآتي :

[ف2 n م U ف1] — [ف2 n م n ف1]

يلتقي الشاب بعائشة ويبين لها حرية الفتيات في أوروبا عكس ما هي عليه الفتيات في بلد عائشة، من هذه النقطة ينتقل رشيد بن مالك إلى توضيح الآلية التي تحكم المقابلة بين الهنا ici و بين هناك ailleurs فانتقل إلى المستوى الخطابي ليقدم جدولا يضبط فيه مسارين 1 و 2 يسمح بمعاينة التحويل الأساسي الذي يغذي البنية السردية :

المسار 2

المسار 1

وضح لها حقوقها في الحياة [أ]

هي إذا كائن تافه لا أساس له [أ]

لم ينس ما ادخره لها القانون [ب]

إنها دولا ب بشري تديره يد ذويها [ب]

من الحقوق والمحافظة على رغباتها [ج]

لا تتحرك ولا تسكن إلا بإرادتهم ووفقا

تعيش صحبته في عيش رغد محفوفة

لرغباتهم [ج]

بالحرية والحب والسعادة [د]

لا تملك الحق في التفكير [د]

||

||

التحرر

العبودية

يتمفصل هذا الجدول على الصعيد السيمي plan sémique إلى مقابلة دلالية أساسية :

عبودية عكس تحرر

يقراً رشيد بن مالك المسارين على أن عائشة كانت ضمن [أ ب ج د] تنتقل إلى وضع آخر [أ ب ج د] فأصبحت ممتلئة على مستوى الكفاءة لجهتي إرادة الفعل / و / وجوب الفعل. غير أن هذا لم يدم طويلاً إذ سرعان ما يتحول إلى وضعية سردية جديدة عندما يتغير عنها الشاب لأن القول يغير الفعل مما يؤدي إلى تحويل اللاظاهر إلى ظاهر، فيتم الانتقال من وضعية باطلة إلى وضعية كاذبة حيث [الظاهر + لا كينونة]، تتخدع الفتاة لأن الظاهر تعتقد أنه الكينونة être، فتضعه مباشرة في وضعية صادقة :

2

_____ وضعية صادقة

		1	ا	
الكينونة	الظاهر	1	ا	وضعية كاذبة
	اللاكينونة		ا	
				وضعية كاذبة

وبفرار الشاب إلى أوربا يتم الإدراك بأن الكينونة لا تطابق الظاهر :

_____ وضعية صادقة²

		1	ا	
الكينونة	الظاهر	1	ا	وضعية كاذبة
	اللاكينونة		ا	
				وضعية كاذبة

وبهذا يصير الحديث عن الكفاءة التي تمثل من جهة / إرادة الفعل [العمل بالجسد] وهو مرهون بالرغبة بالفعل في إطار برنامج سردي معطى يمكن أن نفهم جهة / الوجوب الفعل، بيع الجسد / النظر الاقتصادي Isotopie économique ثم بدأ :

التحري عن موضوع -عن شيء ما 1

القيمة تبحث : - عن أي شيء كان يميزها عن الأخريات 2

- عن شيء جديد 3

- عن عمل حر 4

الدخول في وصلة فتحصلت على عمل خادم في فندق 5

بموضوع القيمة فوقت للاهتداء إلى زوج 6

وإذا انتقلنا إلى الجهات المحينة [القدرة على الفعل] / و [معرفة الفعل] يقدم لنا النص

عائشة على أنها أضحت ممتلئة القدرة على الفعل بوصفها موضوع جهة objet modal ، فخرجت عائشة من الثابت واستقرت في منطقتي الصيرورة والمتحول ، يمكن ملاحظة ذلك في مربع القدرة :

القدرة على الالفعل

القدرة على الفعل

[الاستقلالية]

[الحرية]

اللاقدرة على الفعل

اللاقدرة على الالفعل

[العجز]

[الخضوع]

تأسيسا على ما سبق :

تملك عائشة الكفاءة على الفعل يعني كل المؤهلات التي تمكنها من الانتقال بسرعة إلى فعل لم تجد صعوبة في إنجازه : [حصولها على عمل في فندق]
وإذا انتقلنا إلى المستوى العميق يمكن أن نمثل التمهصلات الدلالية لهذه المواجهة من خلال مقولتين أساسيتين :

استغلال _____ تحرر

ا ا

لا استغلال _____ لا تحرر

إن عائشة سجلت الخروج من منطقتي الثابت والدخول في منطقتي المتحول الحامل لقيم تعمل على ترقيتها وتضمن لها حقوقها، بنفي الاستغلال وتثبيت التحرر:

استغلال _____ تحرر

لا استغلال

إن تحقيق هذه النقلة يجري في الاتجاه المعاكس للفاعل الاجتماعي [المجتمع] الساعي إلى فرض نظام الثابت في سبيل تكريس الاستغلال وضرب كل ما له علاقة بالمتحول :

لا استغلال تحرر

لا تحرر

الخاتمة :

المواقع الاستراتيجية للفاعل الاجتماعي [المجتمع] اهتزت بفشله في تثبيت الفعل الوراثي من أجل المحافظة على نظام يقصي كل ما له علاقة بترقية المرأة وحربتها وحققها في التفكير والكلام والوجود وقد شكلت هذه القيم المنصهرة في موضوع تحري عائشة خرقاً لقانون العائلة الريفية والنظام القيمي التقليدي وصحوة صريحة إلى ضرورة إحداث قطيعة مع العالم المتخلف ، وهذه الدعوة التي ينطلق منها الراوي / الملاحظ الذي أبرز المرتبة الدنيا للمرأة / عائشة في مجتمع يشيئها ، ولا يعترف لها بحقها ، فقصة عائشة ماضي وتحيين للحاضر لإقناع الأطراف الفاعلة في المجتمع بهذا الوضع الذي آلت إليه، وأن السبيل الوحيد لخلاصها منه وتحررها من قيوده، هو بناء مستقبل يكفل لها كرامتها الإنسانية .